

حركة مادية، والنمو هو الآخر حركة مادية، أي أنها حركة رتيبة مطردة، لا اختيار فيها ولا اتجاه، ولا نجاح ولا فشل.

وهكذا، ورغم التناقض الواضح بين النموذج العضوي والنموذج الآلي (يفرق إسبينوزا، على سبيل المثال، بين الطبيعة المطبوعة [الآلية] والطبيعة الطابعة [العضوية])، إلا أن الاختلاف بينهما طفيف وسطحي، حيث يدوران في إطار كموني مادي يجعل مركز النموذج كامناً فيه، فكلاهما صوررتان مجازيتان يعبران عن نظام مادي مغلق، يتحرك حسب قوانين معروفة بشكل مسبق وحتمي. وهذه القوانين قد تكون كامنة في الكيان العضوي ذاته، وقد تكون خارج الكيان الآلي، ولكنها على أية حال قوانين طبيعية ثابتة لا تتغير. فالنبات سينمو بنفس الطريقة دائماً، تماماً مثل الآلة التي تتحرك بنفس الطريقة. وكل من الكيان العضوي أو الكيان الآلي يحوي داخله ما هو مطلوب لفهمه. وكذلك فإن مكان الإنسان في الطبيعة الآلية لا يختلف كثيراً عن مكانه في الطبيعة العضوية، فحينما يعود الإنسان إلى الطبيعة العضوية فإنه يذوب فيها، تماماً مثل خضوعه لقوانين الطبيعة الآلية.

ولعل الفارق بين النموذجين هو أن الطبيعة العضوية لا يمكن فهمها تماماً، فهي مليئة بالأسرار، على عكس الطبيعة الآلية التي يمكن فهمها. ولذا، فإن ما يُطلب من المرء في الإطار الآلي هو أن يتبع الطبيعة بعقلانية شديدة، ويذوب فيها ببرود شديد. أما في إطار الطبيعة العضوية، فإنه يُطلب منه أن يتبعها بكل عواطفه ويذوب فيها أيضاً. ولكن هو في حالة نشوة وحرارة بالغة!

#### تاريخ الصورتين المجازيتين الآلية والعضوية:

وكما أن النماذج بنية عقلية سكونية تترجم نفسها عبر الزمان إلى متتالية، فإن الصور المجازية الأساسية يمكن أن تتطور هي الأخرى بتطور المجتمع والأفكار السائدة فيه. ولذا يمكن دراسة تاريخ الأفكار والنماذج الإدراكية من خلال دراسة تتابع الصور المجازية وتاليها ونحولاتها.